آيات البصر وتفسير ألفاظها في القران الكريم (دراسة بيانية تفسيرية)

م.د.صباح عباس حسين

المديرية العامة لتربية صلاح الدين

sabahalkazrgy@gmil.com

الخلاصة

إن الله سبحانه وتعالى خلق العين وأبدع في دقة خلقه، لتصبح أهم حاسة من حواس الإنسان التي يمكن أن يدرك بها المرئيات بكل أشكالها وألوانها وتنقل لنا صور أدق نتمكن من خلالها قراءة كل ما يعتري النفس البشرية من حالات نفسية ومشاعر، ومن هنا فالكثير لا يعلم الفرق بين ثلاثة كلمات هامة ويتم ترديدهم الكثير من المرات على مدار اليوم وهم البصر والرؤية والنظر، اذ أنه يوجد فرق كبير بين الكلمات الثلاثة والتي قد أوضحها الله عز وجل وفي كتابه الحكيم من خلال عدة آيات ومواقف حيث أن الرؤية لا تتوقف على النظر بالعين ولكن من الممكن أن يري الإنسان ببصيرته أو بعقله.

كلمات مفتاحية: البصر، النظر، البصيرة، الحواس، القران الكريم.

The verses of sight and the interpretation of their words in the Holy Qur’an (an explanatory study)

Dr.Sabah Abbas Hussein

Abstract

Allah Almighty created the eye and excelled in the accuracy of his creation, to become the most important of the human senses by which he can perceive visuals in all their shapes and colors and convey to us more accurate images through which we can read all the psychological states and feelings of the human soul, and from here many do not know the difference. There are three important words that are repeated many times throughout the day, which are sight, vision and sight, as there is a big difference between the three words, which Allah Almighty has explained to us through his wise book through several verses and situations where vision does not depend on looking with the eye, but from It is possible for a person to see with his insight or his mind.

Keywords: sight, eye , insight, senses, the Holy Qur’an.

المقـــدمـــــة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، فإن أولى ما نظر فيه الطالب، وعني به العالم بعد كتاب الله عزَ وجَل سنن رسوله صلى لله عليه وآله وسلم فهي المبيّنة لمراد الله عَزَ وجَل من مجملات كتابه.

ان القارئ لكتاب الله تعالى يجد أن القرآن الكريم يذكرنا دائمًا بضرورة استثمار نعمة البصر في التعرف على الله الخالق، والقيام بما يقتضيه ذلك من الذكر والشكر، فالعين هي الباصرة، وتُطلق على الحدقة، وهي عبارة عن مجموع طبقات تسع، محيط بعضها ببعض، ويغطي الحدقة الجفن، وقد تُطلق العين على مجموع الغلاف وما فيه، كما يراد بها حقيقة الشيء المدركة بالعيان، أو ما يقوم مقام العيان مِن أهم عمليات العين: البصر، ويرادُ بما يرادفه وهو النَّظر، والرُّؤية، والمشاهدة، والملاحظة، والاطِّلاع، فالبصر هو إدراك العين، ويطلق على القوة الباصرة، وهو قوة مُرتَّبة في العصبين المجوفين، التي مِن شأنِها إدراك أشباح الصور، بانعكاس الضوء فيها؛ إذ البصر هو حاسة الرُّؤية.

وَرَد في القرآن مع ما يتعلق به مِن العمليَّات في "274" موضعًا؛ ليدلَّ على العِلم القوي المضاهي لإدراك الرُّؤية، فيقال: بصر بالشيء: علِمه عن عيان، فهو بصير به.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ ﴾ [القلم: 5]،وقال تعالى: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ﴾ [الحاقة: 38-39]، وقال تعالى: ﴿ ... يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴾ [مريم: 42].

خطة البحث:

حيث كان هذا البحث مشتملاً على خطة بحثية مكونة من مقدمة، ومبحثين، وخاتمة تحتوي على أهم النتائج، وهي كالتالي :

- **المبحث الأول: البصر وألفاظه ذات الصلة.**
- **المبحث الثاني: آيات البصر في القران وتفسيرها.**
- وخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت لها من خلال البحث.

هذا ونسأل الله سبحانه وتعالى الإعانة على تمامه، إنه نعم المولى ونعم النصير، والحمد لله رب العالمين.

أهمية الموضوع، وسبب اختياري له :

تكمن أهمية الموضوع وسبب اختياري له في النقاط التالية :

1- معرفة ألفاظ البصر الواردة في القران الكريم والوقوف على معانيها.
2- تعريف البصر والألفاظ ذات الصلة بالبصر في اللغة والاصطلاح .

3- التعمق في البصر ومعانيه في الآيات القرآنية والاحاديث النبوية الشريفة وكلام العرب من الأبيات الشعرية.

هذه هي أهم الأسباب التي دعتني لكتابة هذا البحث .

المبحث الاول

البصر والالفاظ ذات الصلة

أولا: البصر:

البصر : هو ((العلم يقال: بصرت بالشيء علمته والبصير : العالم ، وقد بصر بصارة ، والتبصر التأمل والتعرف ، والتبصير التعريف والإيضاح))[1] ونقول : رأيت الشيء وأبصرته فالرؤية أساسها البصر، وقد فرق الزبيدي[2] بين البصر والبصيرة بقوله : ((وجمع البصر: ابصار وجمع البصرة بصائر ولا يكاد يقال للجارحة الناظرة : بصيرة)) [3]، وقد وردت لفظة (بصر) على معانٍ عدةٍ هي :

أ. **بمعنى نظر:**

أوردت لفظة (بصر) بهذا المعنى كما في قوله :(من الكامل)

وأرى جمالك فوق كل جميلة وجمال وجهك يخطف الأبصارا [4]

أي أن جمالها يخطف أنظار كل من رأها ونظر إليها .

قوله أيضا : (من المتقارب)

رأتك بعينٍ وَأَبصَرتَها وَلَيس يُعاتِبُ مَن يَنظر [5]

وقوله : (من الكامل)

قد كاد قلبي والعين تبصرُهم لَمّا تَوارَوا بالعَور ينصدِع[6]

ب. بمعنى علم:

يذكر أبي فارس[7] أن ((الباء والصاد والراء أصلان : أحدهما العلم بالشيء، يقال هو بصير به، وأما الأصل الأمر نبصر الشيء غلظه ، ومنه البصير هو ان يضم أديم إلى أديم يخاطان كما خاط حاشية الثوب))[8] ، وقد وردت لفظة (بصر) بهذا المعنى متمثلة في قوله : (من الكامل):

لو يُبصر الثقف البصير جبينها وصفاء خدّيها العقيق لحارا [9]

وقوله : (من الكامل):

حذر قليل النوم ذو قاذورة فطن بالباب الرجال بصير[10]

أي انه عليم بعقول الرجال فضلاً عن حسن البصيرة التي يتمتع بها أي انه مستبصرا في أمره عليم .

و من ذلك قوله : (من البسيط) :

سمعي وطرفي حليفاها على جسدي فكيف أصبر عن سعي وَعَن بصري[11] وقوله أيضا : (من البسيط)

أنت الغني وحديث النفس خالية وفي الجميع وأنت السمع والبصر[12]

ثانياً : رأى:

جاءت مادة (رأى) كما تنبض بها النصوص الشعرية تجري على مدلول عام : هو اري يرى فلان شيئاً جعله يراه رؤية بصرية أو قلبية أو يتمثله في منامه، وهذه المادة تستعمل في جميع القوى الظاهرية نقول : لمسته فرأيته ناعماً، أو سمعته فرأيت صوته حسناً، وتفكرت فيه فرايته صحيحاً، وغير ذلك من الاستعمالات التي لا تنحصر على المحسوسات[13].

ويذكر ابن فارس أن رأى : ما يراه الإنسان في الأمر وجمعه الآراء، رأى فلان الشيء وراءه وهو مقلوب، ويقال فعل ذلك رئاء الناس وهو أن يفعل شيئا ليراه الناس والرؤيا معروفة ، والجمع رؤى[14]

ولفظة (رأى) في هذه الاستعمالات تمثل الدلالة المركزية لها ، وقد تأتي لدلالات هامشية موضحة في الوجوه الاتية :

- **الرؤية بالعين** : وما ورد في هذا المعنى من شعر عمر بن أبي ربيعه[15] قوله :

بيضاء مثل الشمس حين طلوعها موسومة بالحسن تعجب من رأى[16]

فلفظة (رآي) جاءت في البيت لتدل على الرؤيا الحقيقية الحسية ، وبالتالي الرؤيا بالعين المجردة وقوله :

لمْ تَرَ العين للثريا شبيهاً بمسيل الثتاع لما التقينا[17]

أي يريد : انه لم يرى ولم يبصر شيئاً شبيهاً للثريا .

ثالثاً : النظر :

تأتي لفظة (النظر) في اللغة بمعنى تأمل الشيء بالعين، فنقول نظرت إلى الشيء بمعنى أبصرته، وتأملته بعيني، وهذا النظر الذي يقع على الأجسام، ويكون بالأبصار، ويكثر استعماله عند العامة[18].

ويأتي إيراد لفظة النظر في اللغة بمعنى تأمل الشيء بالقلب، فنقول نظرت في الشيء، أو في الأمر بمعنى تفكرت فيه، وتدبرته، وتأملته وهذا النظر الذي يقع على المعاني ويكون بالبصائر ويكثر استعماله عند الخاصة، وهو بهذا المعنى يستعمل عند تقليب البصيرة لإدراك الشيء، ويراد به التأمل،

والفحص أو المعرفة الحاصلة بعد التأمل والفحص، ومنه قولــه تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ [19] .

والنظر هو الفكر الذي يطلب به علم أو غلبة ظن، أو هو الفكر الذي يطلب به من قام به علما أو غلبة، والمراد بالفكر بحسب تفسير الإيجي الحركات العقلية وكيفيتها وهو بحسب تفسير المكناسي انتقال النفس في المعاني انتقالاً بالقصد[20] .

والنظر عند المناطقة: ترتيب أمور حاصلة يتوصل بها إلى تحصيل غير الحاصل، فالترتيب وضع كل شيء في رتبته بمعنى جعل الأشياء الكثيرة بحيث يتألف منها تأليفا خاصا، ويكونً لبعضها نسبة الى البعض الآخر بالتقديم والتأخير، فالترتيب اخص من التأليف[21].

وقد وقف المفسرون عند مجموعة من الآيات القرآنية التي جاءت في السياق المتقدم والتي تتسق مع المقاصد الكلية للدين الإسلامي، ومن اللازم في بحثنا هذا الاستئناس بأفهام المفسرين، والوقوف عند عباراتهم وتأملها بدقة وعناية، ومن هنا أعرض آيات مختارة حثت على النظر والتدبر والتفكر متبوعة ببيان معناها بعد النظر في أهم التفاسير القديمة والمعاصرة، ومما ورد في شأن النظر و الأمر به قوله تعالى : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ [22] .

لقد وردت لفظة (نظر) لتدل على المشاهدة وهي أصل لهذا المعنى لأن النظر هو أصل الرؤية من ذلك قال الشاعر :

نظرت عيني إليها نظراً تُركَت قلبي لديها مرتهن[23]

وقال أيضاً :

نظرت عيني إليها نظر مهبط الحجاج من بطنِ يَمَن[24]

وفي هذه الآية ينبه الرازي (رحمه الله) إلى ان الدلائل إما أن تكون من عالم السموات، أو من عالم الأرض، فأما الدلائل السماوية فهي النظر في الشمس والقمر والكواكب ونظام حركتها، وأما الدلائل الأرضية فهي النظر في أحوال النبات والمعادن وأحوال الإنسان نفسه[25] .

رابعاً: البصيرة:

البصيرة لغةً: قال علماء اللغة: البصيرة: الفطنة. تقول العرب: أعمى الله بصائره أي فطنه. وفي حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - أن معاوية رضي الله عنه، لما قال لهم: يا بني هاشم! تصابون في أبصاركم. قالوا له: وأنتم يا بني أمية! تصابون في بصائركم، وإنه لبصير بالأشياء أي عالم بها ويقال للفراسة الصادقة فراسة ذات بصيرة[26].

وقيل: البصر يقال للجارحة الناظرة، كقوله – تعالى – : ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [27]وللقوة التي فيها، ويقال لقوة القلب المدركة بصيرة، نحو قوله – تعالى – :قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ [28].

أما البصيرة اصطلاحاً: فيعرّفها ابن القيم بقوله: «هي نور يقذفه الله في القلب، يفرّق به بين الحق والباطل، والصادق والكاذب»، وفي تعريف آخر له يقول: «هي نور يقذفه الله في قلب، يرى به حقيقة ما أخبرت به الرسل كأنه يشاهده رأي عين، فيتحقق مع ذلك انتفاعه بما دعت إليه الرسل وتضرره بمخالفتهم، وهذا معنى اخر: (البصيرة تحقق الانتفاع بالشيء والتضرر به)»[29].

البصيرة في القرآن الكريم:

قال تعالى :﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [30].

فهذا مثل للذي هداه الله بعد الضلالة، وأضاء بصيرته بنور الحجج والآيات، يتأمل بها الأشياء فيميز بين الحق والباطل (ويجد الإنسان في قلبه هذا النور فتتكشف له حقائق الوجود وحقائق الحياة وحقائق الناس وحقائق الأحداث التي تجري في هذا الكون وتجري في عالم الناس، ويجد الإنسان في قلبه هذا النور فيجد الوضوح في كل شأن وفي كل أمر وفي كل حدث، يجد الوضوح في نفسه وفي نواياه وخواطره وخطته وحركته، ويجد الوضوح فيما يجري حوله، سواء من سنة الله النافذة أو من أعمال الناس ونواياهم وخططهم المستترة والظاهرة، ويجد تفسير الأحداث والتاريخ في نفسه وعقله وفي الواقع من حوله كأنه يقرأ من كتاب، ويجد الإنسان في قلبه هذا النور فيجد الوضاءة في خواطره ومشاعره وملامحه، ويجد الراحة في باله وحاله، ويجد الرفق واليسر في إيراد الأمور وإصدارها وفي استقبال الأحداث واستدبارها، ويجد الطمأنينة والثقة واليقين في كل حالة وفي كل حين)[31].

وقال تعالى :﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [32] قال القرطبي: «قد جاءكم آيات وبراهين يُبصر بها ويُستدل. جمع بصيرة وهي الدلالة، ووصفها بالمجيء لتفخيم شأنها إذ كانت بمنزلة الغائب المتوقع حضوره للنفس، كما يقال: جاءت العافية وقد انصرف المرض»[33].

وقال – تعالى – :﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢ ﴾ [34] وقال تعالى(رُوحًا) أي وحياً من أمرنا، وسمَّاه روحاً لأنه تحيا به القلوب الميتة لما فيه من الهداية والعلم الذي هو كالحياة[35].

المبحث الثاني

بعض من آيات البصر في القران الكريم

أولا: قوله تعالى:﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٤ ﴾ **[36]**.

لأولي الأبصار أي لكل من له بصيرة يراجعها ويعلمها فالأبصار هنا جمع بصر بمعنى البصيرة، وقيل: هو بمعنى البصر الظاهر كما هو المتبادر منه، والتعبير بذلك دون البصائر للإيذان بوضوح الدلالة[37].

اولي الابصار هنا هم أصحاب القدرة على التمييز والتشخيص، ومرد هذه القدرة الى مقايسة ومقارنة، فالآية واردة في معركة بدر، فرغم قلة الفئة المؤمنة وعجز عدتها استطاعت ان تغلب القوة الاخرى- الكافرة- ذات العدة والعدد، اذ ان هذا النصر كان مدعما بفضل مصدر آخر، ذلك هو الله تعالى بنص الآية الشريفة. فالأبصار هنا آلية نظر ومقايسة ومقارنة وموازنة[38].

وقيل: أي عَلامَة لأولى البصائر فِي الدّين، ولذوي الْعُقُول أَجْمَعِينَ[39].

ثانيا: قال تعالى:﴿ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ١٧ ﴾ **[40]**.

في زيغ البصر ثلاثة أوجه؛ أحدها: انحرافه. الثاني: ذهابه، قاله ابن عباس. الثالث: نقصانه، قاله الماوردي[41]، وفي طغيانه ثلاثة أوجه: أحدها: ارتفاعه عن الحق الثاني: تجاوزه للحق[42].

ذكر من قال ذلك: حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو أحمد الزبيريّ، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مسلم البطين، عن ابن عباس، في قوله﴿ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ١٧ ﴾ قال: ما زاغ يمينا ولا شمالا ولا طغى، ولا جاوز ما أُمر ب،. حدثنا ابن حُميد، قال: ثنا مهران، عن موسى بن عبيدة، عن محمد بن كعب القرظي) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (قال رأى جبرائيل في صورة المَلك.قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن مسلم البطين، عن ابن عباس) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (قال: ما زاغ: ذهب يمينا ولا شمالا ولا طغى: ما جاوز[43].

ثالثاً: قال تعالى:﴿ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ﴾ **[44]**

وارجع البصر فعل أمر وفاعل مستتر ومفعول به وهل حرف استفهام وترى فعل مضارع مرفوع ومن حرف جر زائد وفطور مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه مفعول به والجملة الاستفهامية في موضع نصب بفعل محذوف وهذا الفعل معلق بالاستفهام أي هل ترى[45].

﴿ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ﴾ أي: هل ترى من شقوق وخروق، ﴿ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ ﴾ أي: مرتين، مرة بعد أخرى، ﴿ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٞ ﴾ ، أي: كليل من الإعياء بعد تكرار النظر، دون اكتشاف أي نقص[46].

فالمراد تكرار النظر مرة ومرات وليس المراد التحديد بكرتين، وقد رجح ابن جرير الطبري هذا الرأي، فقد قال بعد سرده لجملة من أقوال العلماء: وأولى هذه القراءات بالصواب: قراءة من قرأ يَرَوْنَهُمْ بمعنى: وأخرى كافرة يراهم المسلمون مثليهم، يعنى: مثلي عدد المسلمين، لتقليل الله إياهم في أعينهم في حال. فكان حزرهم إياهم كذلك. ثم قال: وأما قوله: رَأْيَ الْعَيْنِ فإنه مصدر رأيته، يقال رأيته رأيا ورؤية، ويقال هو منى رأى العين، ورأى العين- بالنصب والرفع- يراد حيث يقع عليه بصرى. فمعنى ذلك: يرونهم حيث تلحقهم أبصارهم وتراهم عيونهم مثليهم[47].

رابعاً: قال تعالى ﴿ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ٥٠ ﴾ (**48**)..

إلا كلمة واحدة أي وما أمرنا لشيء نريد تكوينه إلا ان نقول له كن فيكون﴿ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴾ على قدر ما يلمح أحدكم ببصره وقيل المراد بأمرنا القيامة كقوله وما امر الساعة الا كلمح البصر[49].

﴿ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴾ أي قضائي في خلقي أسرع من لمح البصر. واللمح: النظر بالعَجَلة يقال: لَمَحَ البَرْق ببَصَره؛ وفي الصحاح: لَمَحَهُ وأَلْمَحَهُ إذا أبصره بنظرٍ خفيف، والاسم اللَّمْحَة، ولَمَحَ البَرْقُ والنَّجْمُ لَمحاً، أي لَمَعَ. وفي قوله «وَاحِدَةٌ» يرجع إلى المعنى دون اللفظ أي وما أمرنا إلا واحدة، وقيل: معناه وأما أمرنا للشيء إذا أردنا تكوينه إلا كلمة واحدة كما تقدم، وهي رواية عَطَاءٍ عن ابْن عبَّاس، وروى الكلبي عنه: وما أمرنَا بمجيء الساعة في السرعة إلاَّ كَطَرْف البَصَر[50].

خامساً: قال تعالى: ﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ٧ ﴾ (**51**).

الفاء استئنافية وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن متعلق بالجواب وهو يقول وجملة برق البصر جملة فعلية في محل جر بإضافة الظرف إليها[52].

وبرق البصر اي : إذا شقّ البصر[53].

و(برق البصر) أي: تلألأ ولمع لهول ما شاهد، وهذا يلحق العيون عند شدة الأمر، والقمرُ يجوز أن يراد به بياض العين، وخسوف غيبته والبياض الذي فوق الحَدَقَة يغيب إذا انقلبت العين حتى يتعلّق البياض الذي تحت السواد[54].

سادساً: قال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [55].

وهذا خبر من الله جل ثناؤه للذين خاطبهم بهذه الآيات من المؤمنين أنهم مهما فعلوا من خير وشر سرا وعلانية، فهو به بصير لا يخفى عليه منه شيء، فيجزيهم بالإحسان جزاءه وبالإساءة مثلها. وهذا الكلام وإن كان خرج مخرج الخبر، فإن فيه وعدا ووعيدا، وأمرا وزجرا؛ وذلك أنه أعلم القوم أنه بصير بجميع أعمالهم ليجدوا في طاعته، إذ كان ذلك مذخورا لهم عنده حتى يثيبهم عليه، كما قال: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ وليحذروا معصيته، إذ كان مطلعا على راكبها بعد تقدمه إليه فيها بالوعيد عليها. وما أوعد عليه ربنا جل ثناؤه فمنهي عنه، وما وعد عليه فمأمور به. وأما قوله: {بصير} فإنه مبصر صرف إلى بصير، كما صرف مبدع إلى بديع، ومؤلم إلى أليم . [56] .

سابعاً: قوله تعالى: ﴿ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [57] .

فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ أي: نافذ. ويقال: شاخص بصره لا يطوف، يديم النظر حين يعاين في الآخرة، ما كان مكذباً به ويقال: حَدِيدٌ أي: حاد كما يقال: حَفِيظٍ يعني: حافظ، وقعيد بمعنى قاعد. وقال الزجاج: هذا مثل. ومعناه: إنك كنت بمنزلة من عليه غطاء فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ يعني: علمك بما أنت فيه نافذ[58].

ثامناً: قال تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً ﴾ [59].

خطاب لأهل مكة على سبيل التهديد، والمعنى: ولقد مكنا الأمم السابقة في الدنيا وأعطيناهم من القوة والسعة وطول الأعمار وسائر التصرفات ما لم نعطكم مثله يا أهل مكة، وجعلنا لهم سمعًا وأبصارا وأفئدة ليستعملوها فيما جعلها الله له فيعرفوا بكل منها مختلف النعم التي يستدلون بها على شئون الخالق المنعم – عَزَّ وَجَلَّ – في تفضله عليهم فيؤمنون به ويداومون على شكره[60].

تاسعاً: قوله تعالى: ﴿ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ ﴾ [61] .

هذا وصف الأصنام: كلها لا تسمع ولا تبصر، فهي لا تسمع من دعاها، ولا تبصر أيضاً من دعاها، ولا تغني عنهم من الله شيئاً، وكذلك المخلوقات كلها، حتى الأحياء منها وإن كان يسمع ويبصر، لكن لا يغني من الله شيئاً، ما يغني إلا العمل الصالح[62].

الخـــاتمة

إنَّ البَصَرَ هُو إحدى الحَواسّ الخَمْس، عَنْ طَرِيْقِ العَيْنِ، مِنْ أَجْلِ رُؤْيَةِ الأَشْيَاءِ، وهَذَا البَصَرُ في العَيْنِ يُصِيْبُهُ [العَمَى]، أمّا البَصِيْرَةُ: فَهِيَ الإدْراكُ وفَهْمُ الأشْيَاءِ عَلى حَقِيْقَتِها ومَعْرِفَةُ النَتَائِجَ الناجِمَةِ عَنْهَا، وتَكُونُ هَذِهِ البَصِيْرَةُ عَنْ طَرِيْقِ الفِكْرِ، وَهيَ التي يُصِيْبُهَا [العَمَهُ]، ولِكُلِّ إنْسَانٍ بَصِيْرَةٌ عَلى نَفْسِهِ، ولاَ عُذْرَ لَهُ في عَدَمْ إدْراكِ وفَهْمِ أُمُورِ الحَيَاةِ.

إن نعمة البصر من أعظم النعم إذا استخدمها العبد في طاعة الله عز وجل، وفيما يعود عليه بالنفع في دنياه وآخرته أما إذا كانت خلاف ذلك، فإن نعمة البصر قد تكون سببًا للحسرة في الدنيا والندامة في الآخرة، فكم من ذنوب ومعاصي كان سببها النظر الحرام ولذا جاء الأمر الإلهي للمؤمنين كآفة بغض البصر وحفظه، أما البصيرة أن يكون عندنا يقين بأننا سنرحل عن هذه الدنيا ولن يبقى فيها أحد، عند ذلك يختفي الجشع والطمع وغمط حقوق الآخرين والاعتداء على أموالهم وأعراضهم ودمائهم وأن الله سيقتص من الظالم والمعتدي في الدنيا قبل الآخرة.

إن خلق العين من أعظم أسرار قدرة الخالق عز وجل، فهي برغم صغرها بالنسبة إلى كل المخلوقات من حولها، فإنها تتسع لرؤية كل هذا الكون الضخم بما فيه من سماوات وأراضين وبحار وجبال وأنهار وأشجار وكل المخلوقات... والبصر مرآة الجسم، وآلة التمييز، وهو النافذة التي يطل منها على العالم الخارجي، ويكشف بها عن أسرار الأشكال والأحجام والألوان، وبالعين يتفكر الإنسان في نعم الله تعالى عليه وفي هذا الجمال الذي أودعه الله تعالى في هذا الكون الفسيح.

الهوامش:

(1) ينظر : لسان العرب المحيط ، ابن منظور (ت 711) ، تقديم : عبدالله العلايلي ، مادة بصر ، دار لسان العرب – بيروت ، 8/ 65 .

([2]) محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق، اشتهر بالسيد المرتضى الزبيدي اليماني الواسطي، ويكنى أبا الفيض وأبا الجود وأبا الوقت، أصله من واسط في العراق، ومولده في الهند في بلدة بلكرام، ومنشؤه في زبيد باليمن، ورحل إلى الحجاز، وأقام بمصر، وبها توفي بمرض الطاعون سنة 1205 هـ، لغوي ومحدث وعالم بالرجال والأنساب، ينظر: الاعلام، للزركلي، ج7، ص70.

(3) تاج العروس ، مادة بصر ، 10 / 196 .

(4) ديوان عمروا بن ابي ربيعة ، علي مهنا ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، د.ت ، ص 174 .

(5)المصدر نفسه، ص175.

(6) ديوان عمروا بن ابي ربيعة ، مصدر سابق ص 174 .

([7])أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين: من أئمة اللغة والأدب، قرأ عليه البديع الهمذاني والصاحب ابن عباد وغيرهما من أعيان البيان، أصله من قزوين، وأقام مدة في همذان، ثم انتقل إلى الري فتوفي فيها، وإليها نسبته، ينظر: سير اعلام النبلاء، للذهبي، ج4، ص38.

(8) مقايس اللغة ، ابن فارس ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، دار الفكر ، 1979 م ، 1 / 253.

(9) ديوان عمروا بن ابي ربيعة ، مصدر سابق، ص 147 .

(10) المصدر نفسه ، ص 191 .

(1)ديوان عمروا بن ابي ربيعة ،مصدر سابق، ص 231 .

(12) المصدر نفسه ، 149 .

(13) مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، 347/2 .

(14) ديوان عمروا بن ابي ربيعة ، مصدر سابق ، ص 26 .

([15])عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم شاعر مخزومي قرشي، شاعر مشهور لم يكن في قريش أشعر منه وهو كثير الغزل والنوادر ، ولُقِب بالعاشق. يكنى أبا الخطَّاب، ينظر: سير اعلام النبلاء، للذهبي، ج4، ص379.

(16) ديوان عمروا بن ابي ربيعة ، مصدر سابق ،ص 409 .

(17) ديوان عمروا بن ابي ربيعة ، مصدر سابق ص 65 .

(18) مقاييس اللغة ، مصدر سابق، 109/3.

(19) سورة يونس، الاية 101.

(20) فتح القدير ، ١ /٥٤.

(21) لوامع الأسرار ، شرح مطالع الأنوار في المنطق ، قطب الدين محمد بن محمد الرازي ، ص ١٢.

(22) سورة يونس، الاية 101.

(23) ديوان عمروا بن ابي ربيعة، مصدر سابق، ص87.

(24) ديوان عمروا بن ابي ربيعة، مصدر سابق ،ص 265 .

(25) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، دار الفكر، ١٧/ ١٣٥.

(26) لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف، مادة بصر.

(27) سورة الأحزاب، الاية 10.

(28) سورة يوسف، الاية 108.

(29) مدارج السالكين، ابن القيم، دار الحديث، 1/ 139 . 140.

(30) سورة الأنعام، الاية 122.

(31) مدارج السالكين، ابن القيم، 1/ 139 .

(32) سورة الأنعام: 104.

(33) فيض القدير، المناوي، مصدر سابق ، 2 / 515.

(34) سورة الشورى: 52.

(35) فيض القدير، المناوي، مصدر سابق ، 2/ 518.

(36) سورة النور، الاية 44.

(37) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، مصدر سابق، 340/1.

([38])نظرية العلم في القرآن ومدخل جديد للتفسير، غالب حسن، دار الرسالة، بيروت، ط1، د.ت، ص58.

(39) تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: 489هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية، 299/1.

(40) سورة النجم، الاية 17.

([41]) أقضى القضاة أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري ، الماوردي ، الشافعي ، صاحب التصانيف، ينظر: سير اعلام النبلاء، للذهبي، ج4، ص390.

(42) تفسير الماوردي = النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، 369/5.

(43) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، 521/22.

(44) سورة الملك، الاية 3.

(45) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى : 1403هـ)، دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية ، 146/10.

(46) تفسير الشعراوي – الخواطر، محمد متولي الشعراوي (المتوفى: 1418هـ)، مطابع أخبار اليوم، 6/ 3529.

(47) تفسير ابن جرير ، مصدر سابق، 3 / 198.

(48) سورة القمر، الاية 50.

(49) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: 710هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي ، دار الكلم الطيب، بيروت، 407/3.

(50) اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: 775هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، –1998م، 284/18.

(51) سورة القيامة، الاية 7.

(52) إعراب القرآن وبيانه، مصدر سابق، 10/ 298.

(53) مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (المتوفى: 209هـ)، المحقق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجى – القاهرة، 277/2.

(54) درة التنزيل وغرة التأويل، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي (المتوفى: 420هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: د/ محمد مصطفى آيدين، جامعة أم القرى، 1/ 1312.

(55) سورة البقرة، الاية 110.

(56) تفسير الطبري، مصدر سابق، 510/4.

(57) سورة ق، الاية 22.

(58) بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: 373هـ)، 335/3.

(59) سورة الاحقاف، الاية 26.

(60) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، (1393 هـ = 1973 م)، 931/9.

(61) سورة مريم، الاية 42.

(62) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل، مصدر سابق، 409/8.

المصـــادر

- القران الكريم.

1. اعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى : 1403هـ)، دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية .
2. بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: 373هـ).
3. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر – تونس.
4. التعريفات، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، المحقق: محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة.
5. تفسير الشعراوي – الخواطر، محمد متولي الشعراوي (المتوفى: 1418هـ)، مطابع أخبار اليوم.
6. تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ) تحقيق: الدكتور بد الله بن عبد المحسن التركي ،دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.
7. تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: 489هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية.
8. تفسير الماوردي = النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.
9. تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: 710هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي ، دار الكلم الطيب، بيروت.
10. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، (1393 هـ = 1973 م).

11.جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة.

12.درة التنزيل وغرة التأويل، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي (المتوفى: 420هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: د/ محمد مصطفى آيدين، جامعة أم القرى.

13.روائع الطب الإسلامي المؤلف: محمد نزار الدقر، موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة

14.فتح القدير ، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق.

15.القاموس المحيط ، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى ، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1426 هـ – 2005 م.

16.الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ) ، دار الكتاب العربي – بيروت.

17. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: 1094هـ)، المحقق: عدنان درويش ،محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت.

18. اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: 775هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.

19.لسان العرب ، لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، دار صادر – بيروت، 1414 هـ ، 162/1 ؛ وتاج العروس من جواهر القاموس ، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تحقيق : مجموعة من المحققين ، دار الهداية.

20.لوامع الأسرار = شرح مطالع الأنوار في المنطق ، قطب الدين محمد بن محمد الرازي.

21.مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (المتوفى: 209هـ)، المحقق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجى – القاهرة.

22.مفاتيح الغيب = التفسير الكبير ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، دار الفكر.

23.المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: 502هـ) المحقق: صفوان عدنان الداودي ، دار القلم، بيروت.

24.مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر.

25.المنقذ من الضلال ، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ) بقلم: الدكتور عبد الحليم محمود ، دار الكتب الحديثة، مصر.

26.نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ) المحقق: محمد عبد الكريم كاظم، مؤسسة الرسالة – لبنان/ بيروت.